قراءة في كتاب'إفريقيا الغربية-الجزائر-مزاب-تلديكلت'لبول سولييه
بكاري عبد القادر، المجلد3، العدد1،يناير 2020، ص ص: 330-346

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

قراءة في كتاب'إفريقيا الغربية-الجزائر-مزاب-تلديكلت'لبول سولييه

Views about the book « L'Afrique occidentale-Algérie-Mzab-Tildikelt »
Paul Soleillet

الدكتور بكاري عبد القادر، جامعة تيارت
Bekk1960@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/10/21 تاريخ القبول: 2019/11/10 تاريخ النشر: 2020/01/31

الملخص: تعود علاقات الأوربيين بشعوب صحراء إفريقيا الكبرى إلى الألف الأخير قبل الميلاد، وربما كانت العلاقة التي ربطت أوربا بإفريقيا أقدم من ذلك بكثير، وما يعزز هذا الاعتقاد نطاق التبادل التجاري الذي ساهم فيه الفينيقيون واليونان والرومان الذين خلفوا الكثير من المعلومات التي تعتبر من أقدم المصادر عن الصحراء الأفريقية الكبرى وشعوب.

إن هذه العلاقات القديمة توثقت وتطورت أكثر منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وذلك ابتداء من وصول أولى طلائع الرحالة والمغامرين والمستكشفين الأوربيين إلى الصحراء الإفريقية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي كالانجليزي ليديارد والأسكتلندي مونجو بارك والذين سار على دربهم الفرنسي بول سولييه الذي قدم دراسة حول الصحراء الغربية الإفريقية سنوات1873-1874م.

الكلمات المفتاحية: الرحلة؛ الصحراء؛ القوافل؛ الاستكشاف؛ البدو الرحل؛ الواحات؛ التوارق.

Abstract: the relationship between Europe and Africa is too much older. This belief is reinforced by the evedences of trade exchange with Greece and Rome, who left much information which became the oldest sources about the Great Sahara and their people. These ancient relations have been further developed since the eighteenth century starting from the arrival of the first European travelers, adventurers and explores to the African Sahara at the end of the eighteenth century AD, such as the English lidyard and Scottish Mungo Park who were followed by the

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

French Paul Soleillet, who studied the West African Sahara between the years of 1873-1874.

Key-words: journey; desert; caravans; exploration; nomads; oasis;

1- مقدمة:

لقد ظلت المعلومات التي قدمها الجغرافيون والمؤرخون اليونان والرومان قديما، والرحالة العرب في العصور الوسطى هي المعلومات الوحيدة المتوفرة للباحثين عن الصحراء الأفريقية الكبرى حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وعلى الرغم من توغل بعض المغامرين الأوربيين في الصحراء الكبرى مطلع العصر الحديث، فإن هذه الرحلات لم يكن لها أي تأثير على البحث العلمي، ولم تكد تزيد شيئا في قاموس المعلومات عن الصحراء التي ظلت طبيعتها سرا مجهولا يتحدى المغامرين والرحالة والمستكشفين.

من المؤلفات الهامة للغاية والصادرة عن طبعة سيقان أيني(Seguin ainé) سنة1877م في مجال تاريخ الصحراء الجزائرية، في قراءة مسارات الرحالة والمستكشفين الفرنسيين في تقاطعاتها مع رجالات السياسة والضباط العسكريين، وقضايا الاستعمار الحديث في استكمال مهام الاحتلال الفرنسي بالقارة الأفريقية، كتاب الرحالة والمغامر بول سولييه'أفريقيا الغربية-الجزائر-مزاب-تلديكلت' الذي تزامن مع العديد من الحملات الأوربية على دول وشعوب القارة الأفريقية مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، جاء ليقدم صورة تبريرية للسياسة الأوربية اتجاه القارة الأفريقية لدى ذاكرة الشعوب.

في ظل كل ذلك بدت لنا أهمية تقديم قراءة في هذا الكتاب لمحاولة فهم ما جرى من مضامين سلوكيات هؤلاء الكتّاب في مؤلفاتهم لمعرفة معالم الذات التاريخية الماضية، بالوقوف على أهم المحاور الفكرية، والاتجاهات السياسية، ودلالاتها بالنسبة لقراء وباحثي الفترة المعاصرة. أقول، يأتي هذا الكتاب من رحالة مغامر، ورائد من رواد الحركة الاستكشافية بالقارة الأفريقية، له أعمال كثيرة وكتابات عديدة منشورة كلها حول الصحراء الأفريقية عامة والجزائرية على وجه الخصوص، تفاعلت طبيعة معلوماتها مع البعدين السياسي والعسكري، الاجتماعي والديني، وسط ظروف مختلة الموازين بين الدول الأوربية القوية اقتصاديا، والدول الأفريقية الضعيفة والمنهارة في كامل المجالات.

وعليه، فإن هذا المقال محاولة منا لإضافة لبنة في الدراسات السابقة، والذي يتناول تقديم كتاب'أفريقيا الغربية'، وما رصده من أحداث وصور للأقاليم التي زارها، كما نبين أسلوبه ومنهجيته في تدوين المعلومات وتسجيل الانطباعات.ولمعرفة القيمة العلمية والأدبية للكتاب

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

قيد الدراسة، طرحنا الاشكالية التالية، وهي: من هو بول سولييه، وما مضمون كتابه، وما منهجه؟ وما هي المعارف الإضافية الجديدة ذات الأهمية التي يقدمها بالمقارنة مع مؤلفين آخرين؟ وهل تندرج رحلته الاستكشافية ضمن طموحات شخصية أم تمت بإيعاز من مؤسسة جغرافية واستخباراتية حكومية على غرار العديد من البعثات الأوربية الأخرى في القارة الإفريقية؟

2-التعريف بصاحب الكتاب:

هو جون جوزيف- ماري ميشال- بول سولييه(Jean-Joseph-Marie-Michel-Paul soleillet)، من مواليد 29 أفريل1842م بمدينة نيم الفرنسية، يعتبر من أشهر الرحالة المستكشفين المغامرين الذين بفضلهم اكتشفت أسرار جغرافية كانت مجهولة في القارة الأفريقية. درس سولييه بمدينة أفنيون(Avignon)، ومن خلال مطالعاته لكتب الرحالة اتسعت أفكاره، وبدأ يحلم بمغامرات في القارة الأفريقية، فكانت رحلاته الأولى إلى الجزائر سنوات1865-1866م وتونس سنة1867م التي جابها في كل الاتجاهات، حيث تعلم اللغة العربية، ودرس القرآن، كما تعرف على عادات وتقاليد وحضارة الشعوب التي زارها.

بعد غزو القوات الألمانية لفرنسا عام 1870م، عاد إلى فرنسا لينخرط في صفوف الجندية كمحارب، خاض معركة كولميي(Coulmiers) وحملة اللوار(la Loire)، وبنهاية الحرب الألمانية الفرنسية يعود من جديد إلى القارة الأفريقية، لكن هذه المرة مكلفا بمهمة المستكشف من قبل الوزير آن(Ane) في المناطق الصحراوية التي لم يزرها أي أوربي قبله، فزار السنغال بين سنوات 1878-1880م، وكان رائد الاحتلال الفرنسي لمنطقة أوبوك التي كلفته بها شركة تجارية. من أهم واكبر مشاريعه خط السكة الحديدية عبر الصحراء (Transsaharien) الذي يربط السنغال بالجزائر.

ألقى الكثير من المحاضرات حول مشاريعه وبعثاته في العديد من المدن الفرنسية كأفينيون، مارسيليا، ليون، باريس سنوات1874و1875و1876م تحت إشراف الجمعية الجغرافية الفرنسية، نال على إثرها العديد من الاعترافات والتكريم منها فارس فيلق الشرف من قبل وزير البحرية والمستعمرات. توفي يوم 10 سبتمبر1886م بمدينة عدن اليمنية، وهو بصدد تحضير صفقة سلاح إلى مدينة كُوى(Choa) بالاشتراك مع أرتير ريمبو(Arthur Rimbaud)[1].

3-قراءة في كتاب "افريقية الغربية الجزائر، مزاب، تلديكلت":

1 -Paul, soleillet, exploration du Sahara occidental, paris : monographie imprimée, 1874, p : 144.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

لبول سولييه عدة مؤلفات تدور كلها حول رحلاته واستكشافاته في الصحراء الأفريقية (ينظر الملحق رقم01)، ومنها هذا الكتاب الصادر عن طبعة سيقان إيني بأفينيون(فرنسا) سنة1877م، مشتملا على 281 صفحة، مقسمة إلى قسمين، ومتفرعة إلى عناوين متعددة اقتضتها طبيعة تناول الأحداث.

خصص القسم الأول للحديث عن واحة الأغواط وقصور جبل عمور، والتيجانيين بعين ماضي، بالإضافة إلى بني مِزاب والشعانبة ومدينة الجزائر. أما القسم الثاني، فهو عبارة عن مذكرات ليوميات الرحالة بول سولييه (Journal de voyage) التي تبدأ يوم 29 ديسمبر 1873م من مدينة الجزائر، وتنتهي يوم06 مارس1874م بواحة عين صالح.

ففي مقدمة الكتاب يتحدث عن اهتماماته الرئيسية وهي الرحلة إلى صحراء الجزائر، وبالذات نحو واحة عين صالح، هذه المهمة التي استعد لها منذ سنة1866م بزيارات ورحلات إلى إفريقيا الشمالية، حيث تعلم اللغة العربية، وتعرف على عادات وتقاليد الأهالي، كما قام بدراسة كتابات الرحالة والمؤرخين والجغرافيين وحتى الاقتصاديين القدماء منهم والمحدثين الذين كتبوا عن إفريقيا، وخاصة الرحالة روني كاييه(René Caillé)[2].

من الأهداف التي عمل على تحقيقها واجتهد لإنجاحها هي ربط مستعمرات فرنسا(الجزائر والسنغال) بتبادلات تجارية، تكون متبوعة بعلاقات صداقة بين أوربا وإفريقيا الوسطى، ولذلك قرر قطع المسافات الرابطة بين المستعمرتين السابقة الذكر(الجزائر والسنغال) بالنيجر وربطهما ببعض مشيا على الأقدام، هذا الطريق الذي يبدأ من الجزائر أو السنغال وينتهي بتمبكتو (Tombouctou)، أي عند نقطة دخول النهر الكبير إلى إفريقيا الوسطى في مجراه الطبيعي، كما كانت فكرته الرئيسية جعل أفريقيا الغربية التي يعرفها غاية المعرفة، الخط الرابط بين الشعوب اللاتينية للعالمين القديم والحديث ومركزها البحر المتوسط، وهو الذي قال في هذا الصدد:

Pacifiquement conquérir et ouvrir les vastes contrées fermées de ' l'Afrique occidentale pour donner à la France l'honneur et l'avantage de [3]'la prédominance civilisatrice et commerciale sur cet immense territoire

2-جوز فين كام، المستكشفون في إفريقيا، ترجمة: يوسف نصر، مراجعة: محمد علي وقاد، القاهرة: دار المعارف، 1983، ص:143.

3-Paul soleillet, biographie de Paul soleillet, paris, 1880, p : 14.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

بنظرة تاريخية يحدد بول سولييه من سبقه من الرحالة الأوربيين الذين وصلوا إلى المنطقة، خاصة وان ثلثي الطريق الرابط بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وطريق الجزائر-السنغال كان قليل الاستعمال والاستكشاف من قبل الرحالة الأوربيين. فالثلث الأول الرابط بين المحيط الأطلسي ومدينة تمبكتو كان قد قطعه روني كايي(René Caillé) الذي انتقل من السنغال ودخل المدينة المقدسة بالصحراء متنكرا في زي مسلم يوم 20 ماي1828م، وقبله الرحالة الانجليزي الماجور قوردن لانج(Gordan Laing)(ينظر الملحق رقم02)الذي قتل بمنطقة بين تمبكتو وأروان شهر سبتمبر1826م بأمر من أحمد ولد أديدة ولد الرحال قائد البراربيش واحمد الحبيب حاكم مدينة أروان بعدما طُرد من مدينة تمبكتو من قبل الفولبي(Foulbé)، ومنذ ذلك التاريخ، عاد إلى المدينة رحالة أوربي واحد، هو الدكتور الألماني هانري بارث[4](Henry Barth.

أما الثلث الثاني، فهو الطريق الذي قام باستكشافه بنفسه، والرابط بين البحر المتوسط وواحة عين صالح، معتمدا على إمكانياته الخاصة للوصول إلى هذه الواحة العجيبة يوم 06مارس1874م، هذه الواحة التي سبقه إليها اثنان من الأوربيين فقط هما: الماجور الانجليزي قوردن لانج والألماني جرهارد رولف(Gerhard Rolfs) هذا الأخير الذي كان يسافر متنكرا بزي مسلم. مع العلم أن الرحالة المسيحيين الفرنسيين الوحيدين الذين حاولوا الوصول إلى واحة عين صالح هم الآباء الكاثوليك الثلاث: بولميي(Paulmier) وبونشو(Bonchamps) ومينوري(Minoret) الذين قُطعت رؤوسهم في شهر يناير1876م بمنطقة غير معروفة بين واحة المنيعة وواحة عين صالح[5].

يبدو أن رحلاته العديدة إلى أفريقيا أكسبته معرفة وخبرة علمية جعلته يعطي مفهوما خاصا للرِحْلة والرَحَالة، حيث يقول أن هذا الاسم يطلق على كثير من الناس، وحتى وإن كانوا محترمين إلا أنهم لا يستحقونه، لأن الرحالة ليس هو ذلك الذي يزور أماكن بعيدة وغير معروفة فقط، وإنما الرحالة هو من يقدم أدق التفاصيل البيئية والمناخية والجغرافية والنباتية والحيوانية والبشرية للمناطق التي زارها، وهو الذي(الرحالة) يمهد الأرضية للمختصين(العلماء) الذين يقومون برسم الخرائط وكتابة القواميس وغير ذلك...وبالتالي فلا أعرف رجلا من الرحالة المحدثين ذو علم واسع

1-اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص:.72.

5 -Gerhard Rohlfs, voyages et explorations au Sahara- Draa, Tafilalet, sus oranais Touat, Tidikelt, Rhadamès, paris : éd. Karthala, tome1, 2001, p : 237.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

سوى الكسندر دي هامبلت(Alexandre de Humboldt)[6](. (ينظر الملحق رقم03). فالكتاب ينطلق من فكرة حب المغامرة والاستكشاف كمهمة إنسانية انبثقت من الذات بمقوماتها الداخلية، وينتهي عند مشروع ربط الصحراء الإفريقية بالدولة الفرنسية كخدمة يقدمها بول سولييه لدولته.

3-1-الصحراء الجزائرية عند بول سوليي:

يتحدث الكاتب عن المحطة الأولى التي يعتبرها نقطة انطلاق لرحلته ومركز التحضير لبعثته من الجزائر إلى تلديكلت، وهي واحة الأغواط التي وصلها يوم30 سبتمبر1872م، حيث يقدم عنها دراسة شبه متكاملة جغرافيا وعمرانيا وبشرية بل وحتى سياسيا.

تقع مدينة الاغواط جنوب مدينة الجزائر، تبعد عنها ب440كلم، بعلو يصل 780م فوق مستوى سطح البحر، وهي مبنية في مصب هضبتين ترتفعان وسط سهل رملي يقطعها واد مزي، يحرسها جدار، ومحاطة بحزام من البساتين الجميلة، هذه البساتين كغيرها من بساتين الواحات الأخرى لها جمال خاص، مطبوعة بأشجار النخيل، أوراقها ذات ألوان تشبه الأحجار أو المعادن الناعمة. كان الصحراويون يعتبرونها عاصمة، ويطلقون عليها'جزائر الصحراء'، وهي مدينة قديمة كانت تابعة للمغرب الأقصى، ثم تنازل عنها للأتراك عام1690م، ومنذ سنة1852م وهي تابعة مباشرة للسلطة الفرنسية، يحكمها الخليفة أحمد بن سالم الذي عينته السلطة الفرنسية بعد أن قَدمَ أخيه يحي بن سالم الولاء لفرنسا سنة1843م[7].

يصف المناظر الخلابة الساحرة لواحة الأغواط، ذات السماء الصافية، والهواء النقي الساخن الذي تتنفسه النباتات، يجري بينها مياه السواقي بهدوء، بناياتها أنيقة، موزعة توزيع هندسي وسياسي، فإلى الشمال من المدينة نزُل القائد العام والدائرة العسكرية، والمكتب العربي وملحقاته في الجنوب، بنايات عربية مزينة بالأقواس ومبنية بالطوب المجفف في الشرق، وفي الغرب، سكنات كبيرة ذات طراز أوربي، فيها مركز البريد والمقاهي ومحلات الأهالي.أما وسط المدينة فهو ملتقى الحركة السكانية من شباب ونساء ورجال وأطفال الحي، بشوارع وطرقات في معظمها واسعة[8]:

6 -Jean-Marie Pelt, les grands naturalistes explorateurs autour du monde, paris : éd. Fayard, 1999, p : 15.

7- راوية توفيق، السياسة الفرنسية في إفريقيا- الأداة العسكرية في خدمة المصالح الاقتصادية ودعاوي المهمة الحضارية، مجلة قراءات، منشورات جامعة القاهرة، مصر، ع20، ابريل-يونيو2014، ص ص:24-35.

8- Paul soleillet, op-cit ,p :06.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

سكان واحة الأغواط ثلاثة أصناف وهم: العسكريون، المدنيون والأهالي، يشكل العسكريون نسبة كبيرة بالواحة على شكل مستعمرة متنقلة، مشكلة من فرقتين للخيالة، ووحدتين لجنود المشاة، وكتيبة الوحدة الأفريقية. يسهر الضباط العسكريون على الأسلحة والهندسة المدنية، وكل ما يخص جهاز الحكم. فالأوربيون واليهود تابعين لقضاء الحاكم العام بالمدينة، وهو المكلف بتحرير الوقائع العمومية، في حين يشرف المتصرف المالي على الخدمات الإدارية، وإدارة المخيمات، والمستشفيات، وسيارات الإسعاف، والمئونة.

أما المدنيون، فباستثناء موظفي الخزينة والبريد والخطوط التلغرافية، فان معظم الأهالي يمارسون التجارة التي تقوم أساسا على بيع المواد الاستهلاكية الغذائية خاصة، وبعض الحرف كالبناء والتلحيم وتصليح الأحذية...ومن الأمور اليقينية عند أهالي الواحة'لا أحد يخشى من المستقبل'.

بعض الأوربيين ولدوا بالصحراء وتزوجوا بأوربيات ولدن هن الأخريات بالصحراء، أطفالهم يعيشون غاية السعادة جنبا إلى جنب مع أطفال الأهالي، يتكلمون اللغتين الفرنسية والعربية، لأن المدرسة مفتوحة لكل الأطفال(المسلمين، المسيحيين واليهود)، يشرف عليها معلم فرنسي يساعده معلم من الأهالي، كما توجد مدرسة للبنات بالبلدية.أما عن الأهالي، فيذكر بأنها الفئة التي ليست لها أهمية بالنسبة له، ولكن من الواجب عليه معرفتها، لأنها هي التي ستساعده في تحقيق المهمة التي يحلم بها، وهي الرحلة الكبيرة في الصحراء من جهة، ومن جهة أخرى يعترف بالصداقة الطيبة التي تربطه مع جميع سكان المدينة دون تمييز بينهم وبين الأوربيين[9].

ينقسم المجتمع الأغواطي إلى فرقتين متميزتين: على رأس الفرقة الأولى عائلة الخليفة أحمد بن سالم المرتبط بفرنسا وممثل السلطة العسكرية، بينما تتولى الفرقة الثانية عائلة الشريف مولاي علي المنحدر من سلالة الحاج عيسى أكبر المرابطين بالأغواط، المرتبط هو الآخر بفرنسا ممثل السلطة المدنية.

يشير الكاتب إلى فئة القصوريين الذين يسكنون بيوت الطوب، ذوو البشرة البيضاء والعادات الهادئة البسيطة، لا يتحملون الحرارة ولا البرودة، لا الجوع ولا العطش، ولا يصطادون ولا يسافرون أبدا، ولا يشتركون في الولائم التي تقام بالخيم، غذاءهم التمر والحليب في النهار والكسكسي مساءً، والبعض منهم يتعاطي الخمور[10]

9 - Ibid., 123.
10 -Ibid. 124.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

تطلق كلمة عربي خصيصا على القبائل الرعوية المجاورة للمدينة الذين يمارسون الرعي ويسكنون الخيم، يتميزون باسمرار البشرة وبالقوة البدنية الصحيحة، محافظين على عادات الصيد والترحال، تعدد الزوجات عندهم أمر طبيعي وعادي وشرعي، ولكل واحد من اثنان إلى أربعة زوجات، ولكن ومنذ الاحتلال الفرنسي للمنطقة أصبح بعض الاغواطيين خاصة الأغنياء منهم يكتفون بزوجة واحدة، متشبهين في ذلك بالفرنسيين، ولكن يلجأون إلى الخليلات المسيحيات أحيانا[11].

كل الأراضي الصحراوية صالحة للزراعة، ويكفي سقوط الأمطار كل ثلاث أو أربع سنوات بواحة الأغواط التي تقدر مساحتها بـ 1300هكتار منها 200هكتارمسقية بمياه واد مزي لأن تنتج كل الفواكه والأشجار المثمرة حتى التي جلبت من أوربا تأقلمت مع المناخ الصحراوي، كالكروم والخوخ والاجاص والتفاح والكرز والبرقوق والكمثرى، بالإضافة إلى الحبوب بمختلف أنواعها. تقوم الزراعة بواحة الأغواط على نظام الخماسة كغيرها من المناطق الجزائرية الأخرى، وهو النظام الذي يتم بين القصوري المالك للأراضي والساكن بالمدينة وأحد المزارعين من عرب المنطقة لزراعة الحبوب، ويكون نصيبه خمس الإنتاج نظير عمله، ونفس العملية في حالة تربية الأغنام حيث يستفيد الراعي من خمس القطيع، بالإضافة إلى نصيب من الصوف والجلود التي تدرها الأغنام كل سنة، زيادة على ما يتقاضاه من راتب شهري وغذاء يومي من صاحب الأغنام[12]

من المسائل الدقيقة التي يقف عندها الكاتب، المجتمع المزابي بالمنطقة والذي يُفصِل في صفاته ومميزاته الاجتماعية والاقتصادية وحتى التاريخية، معتبرا إياه مجتمعا ليس كباقي المجتمعات الصحراوية بالمنطقة.

إن المزابيين يعيشون داخل كونفدرالية مشكلة من سبعة مدن، موزعة في أربعة واحات، وهي واحات بريان، مزاب، العطاف، القرارة، وكل واحة من هذه الواحات مشكلة من قصور.ويشكلون مجتمعا مصغرا من البربر المتبربرين المحافظين المتماسكين، والذين لم يندمجوا في أي مجتمع آخر. يقدر عددهم ما بين 50الى 60 ألف نسمة، اعتنقوا الإسلام كغيرهم من البربر، وهو يعتبر من التحولات الغريبة التي عرفتها شعوب إفريقيا الشمالية في التاريخ،

11 -général daumas, mœurs et coutumes de l'Algérie, tell- Kabylie- Sahara, paris : éd. Hachette et Cie, 1853, p : 237.

12 -Paul soleillet, op-cit, p : 21.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

بعدما كان المغرب بأكمله تحت سيطرة الشعوب المسيحية واليهودية[13].
وفي نفس الإطار يشير الكاتب إلى أسباب هذا التحول الذي لا يعتبره مفاجئا من جهة أخرى، بدليل أن هذه الشعوب البربرية كلما غزتها شعوب اعتنقت ديانتها، ففي القرن الرابع الميلادي كان المسيحيون الأفارقة منقسمين إلى دوناتيين(Donatisme)، ومانويين(Manichéens) وبيلوجيين(Pélogiens)...أما في القرن السادس الميلادي فقد فرض الوندال الديانة الأريوسية(Arianisme) بالحديد والنار والدم، ووصل الحال بالصراعات الدينية إلى الانقسام الديني داخل العائلة الواحدة، بحيث لكل فرد معتقده الخاص، وهو الأمر الذي سهل على أغلبية كبيرة من البربر اعتناق الدين الجديد(الإسلام)، ووضع حد لتلك الصراعات الدينية، علّها تكون استمرارية للمسيحية فيما بعد.[14]

المزابيون مسلمون، ولكن لا ينتمون لأي مذهب من المذاهب الإسلامية الأربعة التي تقسم المسلمين، ولا يعترفون بقدسية المرابطين، ولا بأي تنظير لأي طائفة من الطوائف الدينية الأخرى، ولكنهم حافظوا على العديد من العادات المشتقة من المسيحية أو اليهودية في ممارسة ديانتهم، مثل طريقة الوضوء الأكثر شمولية من العرب عند كل صلاة، بحيث كانوا يغتسلون كليا، وهو ما كان يقوم به اليهود للطهارة والمقتبس من سيرة موسى عليه السلام، والاجتماع للصلاة في المقابر وإقامة الولائم في أوقات من السنة، وهي عادة مسيحيو إفريقيا في عهد البابا سانت أوغسطين بهيبون في القرن الرابع الميلادي، واعتراف المزابي في حالة ارتكاب خطأ وتسليط العقوبة عليه وبعدها يغفر له، وهي نفس الاعترافات الشعبية والعقوبة المسيحية التي كانت تمارس في الكنسية المسيحية الرومانية في القرون الأولى[15].

بسبب انعزال المزابيين عن باقي القبائل الصحراوية الأخرى، وبسبب الثروات المعتبرة التي كانوا يملكونها، فقد ظلوا عرضة لخطر التوارق والشعانبة، وهو ما دفع بهم إلى الاهتمام بأمنهم وسلامتهم بتشكيل قوة عسكرية محلية من أبناءهم، وإحاطة مدنهم بأسوار مبنية بدقة، يقوم رجال مدججين بالأسلحة لحراستها. ورغم ذلك، فإن إحساسهم بالخطر ظل قائما، مما دفع بهم إلى الاستعانة بالقبائل الرعوية لحراستهم مقابل مبالغ مالية[16]

1- قداح نعيم، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة: عمر الحكيم، دمشق: سلسلة الثقافة الشعبية، 1960، ص:142.
14 - Émile-Félix Gautier, le Sahara, paris : éd. Payot, 1923, p : 137.
15 - Rozet(g), les premières oasis et le Mzab, paris : éd. Horizons de France, 1930,p :51.
16 - Paul soleillet, op-cit, p : 80.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

ينتقل الكاتب إلى الحديث عن قبيلة الشعانبة التي تعتبر من أكبر القبائل وسط الصحراء، وتنقسم إلى أربعة فرق:اثنان منهم الشعانبة المخادمة، والشعانبة هابر-ريش بورقلة، وشعانبة مرهادي في شرق المنيعة، وشعانبة برزقة بمتليلي. وهم بدو يجوبون الصحراء بمواشيهم وجمالهم وخيولهم، يخيمون مرتين في السنة قرب الواحات، الأولى أواخر فصل الربيع وقت زج المواشي، والثانية في فصل الخريف وقت جني محصول التمور، ولا يبتعدون كثيرا عن المدن المجاورة لهم، حيث مزارعهم ومساكنهم والتي لا يتخذونها سوى كمخازن لأمتعتهم وثرواتهم وأموالهم. ولكن قسم منهم يسكنون القصور بالواحات، يشرفون على بساتين ومساكن أخوانهم الذين يرتحلون دائما[17].

إذا كانت حياتهم اليومية تقوم على الرعي وعلى قليل من الزراعة والتجارة لحساب بني مزاب، فإن جزء كبير من ثرواتهم تأتي من الأعمال اللصوصية التي يمارسونها كحرفة في الصحراء ضد مختلف القبائل، فهم يتنقلون غربا حتى سواحل المحيط الأطلسي لسرقة مواشي وخيول قبائل أولاد منية وقبائل الصحراء الغربية، والى الجنوب للإغارة على قبائل التوارق بجبال الهقار. ولما كانوا يشكلون تهديدا مستمرا في كامل الصحراء الجزائرية، أضحت معظم القبائل تتقرب منهم وتتصالح معهم خوفا من غاراتهم[18].

وفي مقابل ذلك، يتمتعون ببعض الفضائل كالشجاعة والكرم والفروسية والترحال، وهم من اكبر الصيادين للنعام والغزلان بالصحراء، ورغم أن قادتهم يُعينون من السلطة الفرنسية ويتبعون أوامرها، إلا أن السلطة الروحية والحقيقية هي لقبيلة أولاد سيدي الشيخ الثائرين والمنفصلين عن السلطة الفرنسية، حيث يدفعون لهم الضريبة(الزيارة)[19] باستمرار.

3-2- يوميات رحالة في صحراء الجزائر:

يخصص الكاتب ثلثي كتابه لرحلاته وتنقلاته في الصحراء الجزائرية بمنهجية واحدة موحدة في كامل تفاصيل الأحداث، حيث يذكر التاريخ بالسنة والشهر واليوم بل وبالساعة، كما يحدد المناطق التي ينطلق منها والمتجه إليها، ويقف عند العديد من التفاصيل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية لبعض المناطق التي يزورها خاصة لأول مرة، وفي ذلك يقول مثلا:'في يوم الاثنين29 ديسمبر1873م، وعلى الساعة السادسة صباحا ركبت القطار المتجه نحو الجنوب

2- مار مول كار بخال، إفريقيا، ج1، ترجمة: محمد حجي وآخرون، المغرب الأقصى: مكتبة المعارف، 1984، ص:23

18-عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1990، ص:09.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

بمحطة مدينة الجزائر، هذه المدينة التي هي اليوم الأكثر باريسية من كل المدن الفرنسية إلى غاية قرية الشفة...وعلى الساعة الثامنة(صباحا دائما) استقلت القافلة التي كانت متواجدة عند مدخل المحطة بالشفة والمتجهة إلى مدينة المدية...'[20]

يصور الكاتب ما تلتقطه عيناه وتسمعه أذناه خلال تنقلاته من مدينة إلى أخرى ومن منطقة لأخرى، فهو يصف المناظر الخلابة التي يقطعها أثناء سفره من مدينة الجزائر متجها نحو قرية الشفة بغاباتها الكثيفة ومراعيها الواسعة، حتى ليخيل للناظر أنه بمنطقة نورمادية الفرنسية أو التيرول السوسرية، كما يصف مدينة المدية بطرقاتها الواسعة، وأزقتها المنتظمة، وحديقتها الجميلة التي بنتها السلطة الفرنسية، وحركتها اليومية المفعمة بالنشاط التجاري التي يشترك فيها كل السكان من أوربيين وأهالي ويهود، وحول المدينة تنتشر مساكن الأوربيين الذين يقومون بزراعة حقول الكروم التي تنتج أحسن وأجود أنواع الخمور بالجزائر. الكاتب وهو يؤرخ ليومياته إن صح التعبير، يجمع الحاضر بالماضي، وفي طريقه من مدينة المدية نحو مدينة بوغار في الأول من يناير1874م يستذكر السنوات الأولى من طفولته بمدينة دول(Dole) بالجورا(Jura) الفرنسية، وعنها يقول:'تذكرت عندما كنت أقضي أياما طويلة خلف زجاج النافذة، أتأمل حركة المرور التي تقطع المدينة، كنت أتأمل مثل الآن، عربات كبيرة، واسمع أصواتها ورنين مزامرها...كل هذه الذكريات التي تترجم في مخيلتي تجعلني حزينا وكئيبا، لأن الأمر ليس كما زرت الصحراء من قبل'[21].

يؤكد الكاتب أنه من الضروري تقديم شرح لكلمة صحراء، ولكنه في الحقيقة لا يقدم سوى بعض التفاصيل الجغرافية والمناخية والطبيعية، وكثير من الملامح البشرية لسكان الصحراء الجزائرية خاصة منهم الطوارق والشعانبة وبني مزاب. يحدد بداية الصحراء في الجزائر بمنطقة بوغار شمالا وتنتهي عند المنطقة الاستوائية جنوبا، لتبدأ إفريقيا السوداء على حد قوله، بها سلاسل جبلية كبيرة كجبال الهقار وجبال عمور، أراضيها صالحة للزراعة، ويكفي سقوط الأمطار كل سنتين أو ثلاث لنمو الحشائش والنباتات الرعوية. تشتهر صحراء الجزائر بواحاتها الجميلة

20 - Paul soleillet, op-cit, p :93.
21 - Ibid. p : 97.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

ومنها واحة عين صالح التي تنتمي إلى تلديكلت في أقصى جنوب الواحات الخمس التي تشكل أرخبيل، والذي أطلق عليه الجغرافيون الأوربيون اسم توات[22]

يعتمد بول سولييه في مؤلفه كثيرا على الأخبار التي ترده من القبائل الرحل الذين يجوبون الصحراء، وعلى أخبار بعض الرحالة الأوربيين الذين سبقوه إلى المنطقة. من ذلك ما يرويه على لسان أحد التوارق من قبيلة أولاد حمو الذي قَدِم من جبل الهقار، قاطعا مسافة 800كلم في تسعة أيام، وهي المسافة الفاصلة بين مدينتي عين صالح وورقلة، حاملا معه هدايا إلى مقدم التيجانيين الشيخ محمد العيد. يقول عن البدو أنهم متمسكون بأراضيهم، وأن البدوي يقضي معظم أوقات حياته مستلقيا أمام خيمته، متمتعا بمناظر نمو وزيادة عدد مواشيه، وتارة يخرج في جولات لصيد الغزال والنعام، وبين هذا وذاك يقوم برحلات بحثا عن الحشائش للرعي، فالمنطقة الصحراوية الواقعة بين متليلي والمنيعة تعد من أحسن المناطق في كامل الصحراء نظرا لما توفره من حشائش طيلة السنة[23]

أبدا الحدود المستقرة في المناطق التي كان يرعى قطعانه فيها[24] يعتمد أيضا على أخبار رحالة أوربيين سابقين كانوا قد زاروا المنطقة قبله، منهم الماجور الانجليزي جوردن لانج الذي زار واحة عين صالح سنة1825-1826م، وهو الذي يعود له الفضل في تحديد الموقع الفلكي للواحة بالنسبة لخط غرينتش، وقد وصل إلى عين صالح قادما إليها من الشرق، والألماني جرهارد رولف الذي زار المنطقة عام1864م قادما إليها من الغرب، أما أنا(بول سولييه) فقد قدمت إليها من الشمال أي من مدينة الجزائر، ولم يسبقني إلى هذا الطريق لا الانجليزي ولا الألماني[25].

وبالحديث عن واحة عين صالح التي تنتمي إلى تلديكلت في أقصى جنوب مدينة المنيعة، هذه المدينة المأهولة بالسكان من مختلف الطوائف منهم البربر والطوارق والأفارقة السودانيين أحرار وعبيد، بالإضافة إلى قبائل البدو العرب الذين استقروا بالمنطقة، يتكلمون اللغة الأمازيغية، تدار شؤونهم من قبل سلطة الجماعة إلى جانب سلطة قبيلة أولاد حمو التي تتمتع باحترام وتقدير

22 - Duveyrier(h), exploration du Sahara-les touareg du nord, paris : libraire-éditeur, challamel ainé, 1864, p : 127.

23 - général daumas, op-cit, p : 360.

2-الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987، ص:41.

25 -Malte Brun, op-cit, 253.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

كبيرين بعين صالح، يختتم كتابه الذي بعث بنسخة منه إلى الغرفة التجارية بالجزائر العاصمة بعنوان 'رحلة بول سولييه من الجزائر إلى واحة عين صالح'[26]

4-القيمة التاريخية والعلمية للكتاب:

لقد اعتمد بول سولييه على سعة فكره وخياله، وخبرته العلمية والأدبية في وصف الأحداث، فهو يعالج موضوع 'الصحراء وواحاتها' من حيث المعطيات الجغرافية والطبيعية والسياسية والدينية بل وحتى النفسية، مع الالتفات في شتى المناسبات إلى الواقع التاريخي الذي شاهده وعايشه، فهو لا يكتفي بذكر الحدث، بل ينظر إليه من خلال مقتضيات الإطار العام، ومتطلبات وظيفة من يتصف به من زعيم لقبيلة أو شيخ لطريقة أو قائد لقافلة وغير ذلك. وعلى الرغم من أن كتاب 'الصحراء الغربية' في الرحلات والاستكشاف لا يخلو من أخبار وحكايات شيوخ وزعماء القبائل من جهة، وأخبار رحالة ومستكشفين أوربيين سابقين له في الميدان، فإنه يقدم للقارئ دراسة واقعية، تتضمن عرضا شاملا للآراء المختلفة التاريخية والاجتماعية والأخلاقية للقبائل الصحراوية التي عايشها واختلط بها في العديد من المناسبات خلال رحلاته وتنقلاته، بل إنه يعطي للجانب التاريخي والأدبي المنزلة اللائقة به في الكتاب، بينما تحتل العناصر الأخرى منزلة ثانوية.

يحتوي الكتاب على أراء وأخبار تاريخية نقلها المؤلف من أفواه بعض من البدو الرحل، أو قادة قبائل، أو مرافقين له كأدلة التقى بهم في رحلاته، من ذلك ما يرويه عن الحاج عبد القادر قائد عائلة أولاد باجودة وشيخ أولاد حمو، يراه الرجل المناسب للقيادة لأنه لا يحمل عداوة ضد المسيحيين مثل سابقيه من الشيوخ، وانه حريص على رؤية بلده يحافظ على استقلاله الذاتي، ولكن يريد قبل كل شيء أن بلاده وإخوانه تكون لهم وضعية شرعية اتجاه فرنسا، خاصة بعد فشل مبعوثي عين صالح للتفاوض مع الحاكم العام بالجزائر العاصمة عام1853م، بعدما كانت السلطة الفرنسية احتلت مدينة الاغواط سنة1852م[27].

يذكر مواضيع مختلفة يدعم بها مؤلفه، كتعريفه لمصطلح الصحراء وامتداداتها الجغرافية والطبيعية وأقسامها، كما أنه يقارن بين الصحراء الجزائرية المشكلة من المراعي الشاسعة ذات النباتات الكثيقة، والصالحة للزراعة خاصة الواحات الغنية بالمياه(الجوفية)، والسلاسل الجبلية

26 - Paul soleillet, op-cit, p : 275.
27 - Ibid. p : 255.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

منها جبال الهقار وجبال عمور... والصحراء الليبية ذات السلاسل الجبلية الرملية المتحركة التي تنعدم فيها الحياة إلا من الحيات(الأفاعي الخطيرة)[28]

وزيادة على ذلك يذكر أخبارا عن حركة النشاط التجاري للقبائل وللقوافل الصحراوية، وانتقال البضائع والسلع من تمبكتو إلى شمال القارة، ومن السودان الغربي نحو شنقيط(موريتانيا) وجنوب المغرب، حيث تعتبر واحة عين صالح المركز التجاري الحقيقي لأفريقيا الغربية، فهي تصل مدينة موجادور بإفريقيا الغربية، ومدينة طرابلس بإفريقيا الشرقية، ومدينة تمبكتو جنوب إفريقيا، ومدينة الجزائر في شمال القارة الإفريقية، ولكن يبدوا أن هذه المعلومات وردت عند معظم إن لم اقل كل الرحالة والجغرافيين العرب كابن بطوطة واليعقوبي والحموي وابن خلدون الذين قدموا دراسات شاملة ومعلومات دقيقة[29].

يؤكد بول سوليبه كثيرا على الطابع الأوربي وعلى الدور الايجابي للحضارة والمدنية الأوربية اتجاه القبائل والبدو الرحل في جوانب مختلفة من حياتهم، ولكنها حساسة إلى درجة محاولة نفي المرحلة الإسلامية، وربط تاريخ شعوب الصحراء بالقارة الأوربية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يشير إلى اعتناق المزابيين والبربر على حد سواء للإسلام رغبة فقط في التخلص من المشاكل التي أحدثها البيزنطيون المنحازين إلى المذهب الملكي والرافضين لعقيدة الطبيعة الواحدة، وان المزابيين حافظوا على العديد من العادات المسيحية أو اليهودية في ممارسة ديانتهم منها قضية الاعتراف بالذنب بعد ارتكاب الخطأ(الاعترافات الشعبية المسيحية). ولكن الحقيقة هي أن المسيحيين والوثنيين هم أول من رحب بالإسلام بعد انتشاره في شمال إفريقيا، حيث أعطاهم المسلمون ذمتهم ومنحوهم حرية الاعتقاد والعبادة الكاملة[30].

تَبَدع الكاتب في الغوص الاستقصائي الدقيق للمظاهر العامة للصحراء الإفريقية الطبيعية منها والبشرية لكل المناطق التي زارها، بمجهود يؤسس فيه لمشروع بروح رسالية وإرادية، جعلته يعتلي المراتب الأولى ضمن قائمة المستكشفين والرحالة الأوربيين الذين لم يغفلوا في التعاطي مع قيم الحضارة الغربية الأوربية المسيحية عن الاختلافات المرجعية، وتباين الهويات

28 - duveyrier (h), op-cit, p :21.

2- أحمد الياس، طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية جنوبي الصحراء، مجلة دراسات افريقية، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، مصر ، ع02، 1996، ص:107-192. -حســين

30- محمد هاشم عوض، مراحل انتشار الإسلام والمسيحية في إفريقيا، مجلة دراسات افريقية، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الخرطوم، ع15، 1996، ص ص:45-77.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

وخصوصيات الثقافات والمجتمعات الإفريقية بالصحراء، والوقوف إزاءها من منطلق القوة والهيمنة والاستفادة منها، كل ذلك نابع من رؤية عميقة، وباعتماد عدد هائل من المعلومات الذاتية الأصلية(التي عايشها)، أو المستقاة من أراء وكتابات من سبقوه من الرحالة والمستكشفين.

أما عن المنهج الذي اتبعه بول سولييه في معالجة موضوعه، فإنه يربط الحدث والخبر بظروفه ومحيطه وزمانه، وكأني به يعتمد على المنهج الإخباري الذي يعتمد على التنظيم وتسلسل الأحداث من سنة إلى أخرى، معتمدا على الطريقة الحولية، فيقول مثلا:'وصلت واحة الاغواط يوم30 سبتمبر1872م...وفي1جانفي1873 غادرت مدينة المدية متجها نحو بوغار...وفي يوم9جانفي وصلت مدينة الجلفة للتعرف على قبيلة أولاد نايل...كما يقدم معلومات تاريخية اقتبسها الكاتب من مراجع سابقة، لعل منها قوله:'أن مدينة الاغواط مدينة قديمة كانت تابعة للمغرب الأقصى التي تنازل عنها للأتراك سنة1690م، ثم أصبحت تابعة للسلطة الفرنسية منذ عام1841م، كما يستعين ببعض الأمثلة لا تخلو من الخيال وهي في الحقيقة اقرب إلى الواقع، خاصة عندما يشبه بعض المناظر الطبيعية الخلابة بغاباتها وأشجارها ومراعيها الواسعة في الجزائر بمناظر مشابهة من فرنسا بقوله' هذه المناظر تجعلنا نتذكر وكأننا بنورماندیا(la Normandie)[31])

يبقى لي في الأخير التأكيد على القيمة العلمية الكبيرة للكتاب خاصة التاريخية، فهو يذكر أخبار القبائل الصحراوية، والإشارة إلى الفن الأدبي في الكتابة عند بول سولييه باستعمال الأسلوب الإخباري والإنشائي، وقدرته على شرح الظواهر الطبيعية وتحليل الأحداث التاريخية وتفسيرها بما يناسب حسه.

5- خاتمة

أود في خاتمة تقديم هذا الكتاب، وهذا هو الهدف من هذه الدراسة، أن أقف على نتيجة واحدة بغض النظر على المحتوى التاريخي والعلمي للكتاب الذي اشرنا إلى حيثياته في الدراسة، وهي أن بول سوليه حقيقة يعد من ابرز الرحالة والمستكشفين الأوربيين في القرن التاسع عشر الميلادي، إلا أن أطروحته لا تخلو من إشارة تشويهية لتأريخ المنطقة، وتحريف لبعض الحقائق التي قامت عليها المدرسة الاستعمارية الغربية في العصر الحديث، وخاصة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، متوخية في ذلك أساليب أكاديمية(البعثات والجمعيات مثل

-31 - Paul soleillet, op-cit, p :93.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

الجمعية الجغرافية الفرنسية)، وان نظرته كغيره من المؤرخين الغربيين حول تاريخ شمال إفريقيا والصحراء مشوبة برغبتهم في إظهار روما على أنها السبب الوحيد في مد مستعمراتها بوسائل الحياة المناسبة، وأن الذين كتبوا خلال الفترة الاستعمارية يسعون إلى ربط الوجود الاستعماري الأوربي في إفريقيا بالوجود الروماني القديم، وان إدخال الجَمَل مثلا على إفريقيا طارئ، وأن الرومان هم الذين استجلبوه من الشرق، فغوتيه وإن كان يؤمن بوجود الجمل منذ القرون القديمة، إلا أنه كان متوحشا وطليقا واختفى من المنطقة، ليعود بعد ذلك على يد الرومان[32].

وعليه، فإن بول سولييه يطرح فكرة تكوين قطيعة ثقافية بل ودينية(المسيحية والإسلام عند بربر التوارق) مثله مثل أصحاب التوجهات الإقليمية، والنزاعات الطائفية التي بدأت تطرح في المنطقة، لمحاولة تحطيم وحدة المنطقة، وبلبلة عقول سكانها، وذلك كما قال أحدهم بإدخال الاضطراب على مجرى أفكارهم، وتحطيم أسس المعتقدات التي بها يؤمنون، والقضاء على التقاليد والمفاهيم التي بها ينتسبون[33].

1-أهم مؤلفات بول سولييه هي:

1-notes sur un projet pour l'établissement de docks à Laghouat, Algérie, éd1872.
2-Exploration du Sahara central (voyage d'Alger à l'oasis d'In-calah),
3-Exploration du Sahara occidentale, avenir de la France en Afrique
4– les voyages et découvertes dans le Sahara
5 –les voyages et découvertes dans le Sahara et dans le soudan en vue d'un projet de chemin de fer transsaharien, éd, 1881.
6– lettre de Paul soleillet à Gabriel gravier 1er septembre, éd 1883.
7-Obock, le choa, le kaffa, récit d'une exploration commerciale en Ethiopie, 1886.
8 -Voyage à Ségou 1878-1879, éd 1886

7–المصادر والمراجع :

32-ايميل فيليكس غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، تعريب:هاشم الحسني، طرابلس: الفرجاني، ط1، 1973، ص:131.
1- محمد الميلي، الجزائر والمسألة الشرقية، مجلة المستقبل العربي، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع45، 2011، ص ص:37-46.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

1- جوز فين كام، المستكشفون في إفريقية، ترجمة: يوسف نصر، مراجعة: محمد علي وقاد، القاهرة:دار المعارف، 1983.
2- حسين أحمد إلياس،'طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية جنوبي الصحراء'، مجلة دراسات افريقية، منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية، مصر، ع02، 1996، ص ص:107-192.
3- دنيس بولم، الحضارات الإفريقية، ترجمة: علي شاهين، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1974.
4- راوية، توفيق،'السياسة الفرنسية في إفريقيا-الأداة العسكرية في خدمة المصالح الاقتصادية ودعاوي المهمة الحضارية'، مجلة قراءات، منشورات جامعة القاهرة، مصر، ع20، ابريل-يونية2014، ص ص:24-35.
5- عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1990.
6- اسماعيل العربي.(1983)، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
7- محمد هاشم عوض، (1996)، 'مراحل انتشار الإسلام والمسيحية في إفريقيا'، مجلة دراسات إفريقية، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الخرطوم، ع1996، 15، ص ص:45-77
8- إميل فيليكس غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، تعريب: هاشم الحسيني، طرابلس، الفرجاني، ط1، 1973.
9- الفرد بل.(1987)، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987.
10- نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة: عمر الحكيم، دمشق: سلسلة الثقافة الشعبية، 1960.
11- مارمول كاربخال، إفريقيا، ج1، ترجمة: محمد حجي وآخرون، المغرب الأقصى: مكتبة المعارف، 1984.
12-الميلي، محمد، 'الجزائر والمسألة الشرقية'، مجلة المستقبل العربي، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع2011، 45، ص ص:37 - 46.
13- Daumas(g), mœurs et coutumes de l'Algérie, tell-kabylie- Sahara, paris : éd, hachette et Cie, 1853.
14- Duveyrier(h), (1864), exploration du Sahara-les touareg du nord, paris : libraire-éditeur challamel ainé, 1864
15- Gautier(E, F), le Sahara, paris : éd, Payot, 1923.
16- Rohlfs(R), voyages et explorations au Sahara-Draa, Tafilalet, sud oranais, touat, tidikelt, rhadamés, tome1, paris : éd, Karthala
17- Malte Brun (V .A), Bulletin de la société de géographie, challamel ainé, paris, v1,n°80,1866.
18- Pelte (J M), les grands naturalistes explorateurs autour du monde, paris : éd, fayard, 1999.
19- Rozet(g), les premières Oasis et le Mzab, paris : éd, horizons de France, 1930
20- Soleillet(P), exploration du Sahara occidental, paris : monographie imprimée, 1874.
21- Soleillet(P), biographie de Paul soleillet, paris, 1880.